الإمام الخميني قدس سره
وارث سيد الشهداء عليه السلام

حسنين الجمّال*

ورد في الحديث الشريف عن لسان العصمة عن أبي عبد الله عليه السلام: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[1]. ومن المحتوم أنّ هذه الوراثة ليست وراثة مادية. فلا بدّ أن يكون الإرث أمراً معنوياً. ولعلّه حسب ما يُمكن أن يفهم من الروايات أنّ العلم هو هذا الأمر المعنوي.

لكن أي علم؟ هل هو علم الدراسة أم علم الوراثة؟

لقد اتّضح الجواب عند طرح السؤال. فالارتباط المعنوي بالأنبياء وبمقامهم الشامخ ومنزلتهم الرفيعة يولّد هذا الإرث العظيم ويمنحه للعلماء كلٌّ بقدر درجة ارتباطه. وهذا الارتباط لا يورثهم علم الدراسة.

فعلم الدراسة هو العلم المكتسب الذي يتأتّى من وراء السعي والجدّ والتعلّم. أمّا علم الوراثة، فهو الهبة العظيمة والمنحة الكبرى المعطاة للعلماء جرّاء ارتباطهم بالأنبياء. فمن كان ارتباطه بالأنبياء أوثق كان ميراثه أكبر.

والإمام الخميني قدس سره هو أحد أولئك العلماء الذين أحكموا صلتهم بالأنبياء والأولياء، فكان له نصيبٌ وافرٌ في ذلك الميراث. وقد عقدت هذه المقالة للإضاءة على بعض العناصر التي ورثها الإمام الخميني قدس سره من سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام. وقد اخترت وراثته لسيد الشهداء عليه السلام؛ لأنّ بداية الثورة الاسلامية كانت في محرّم. فكانت البداية حسينية في ١٢ محرّم ١٣٨٣ هـ، وهذا ما اكتسب اسم ١٥ خرداد.

ولأنه يُحتمل أن تكون كلمات مولى الموحّدين علي عليه السلام حينما قال لكميل: «**يا كميل ما من حركة إلا وأنت بحاجة فيها إلى معرفة**»[2]، قد جرت في وجود الإمام الخميني قدس سره. فالثورة الإسلامية حركة عظيمة، وبالتالي فهي تحتاج إلى معرفة عظيمة. ولعلّ الإمام

* طالب في الحوزة العلميّة - جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية - فرع لبنان، السطح الثاني (مرحلة الإجازة).

١) الحر العاملي: وسائل الشيعة، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، لا. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ت، ج٢٧، ص ٧٨.

٢) المجلسي: بحار الأنوار، ط ٢ مصحّحة، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، ج٧٤، ص ٢٦٧.

الخميني قدس سره لم يُقدم على تفجير هذه الثورة المباركة إلا بعد أن عرف أنّ سرّ النجاح وسرّ البداية يكمن في وضعها على خطّ عاشوراء ودمجها بكربلاء وجعلها امتداداً لها. «**لذا تراه دائماً يؤكّد على اسم كربلاء وذكر الحسين بن علي عليه السلام. وكان جسمه يقشعرّ لمجرّد ذكر الحسين عليه السلام؛ ذلك لأنّه تلميذ في حضرة الحسين عليه السلام**»[٣].

ونراه من ناحية أوضح، يعلن بصراحة سرّ الانتصار، فيقول: «**كلّ ما لدينا من بركات عاشوراء**». ولأنّ سيد الشهداء عليه السلام استعمل كثيراً في كلماته ونداءاته لفظة «**مثل**»، فتارة يقول: «**ومثلي لا يبايع مثله**»[٤]، وطوراً يقول: «**مثلي لا يبايع سرّا**»[٥]. وحينما يتحدّث عن يزيد يقول عليه السلام: «**وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد**»[٦]. فسيّد الشهداء عليه السلام يؤكّد أنّ ثورته ونهضته لا تنحصر به، فالصراع بين الإمام الحسين عليه السلام ويزيد لم يكن صراعاً شخصياً بل صراعاً بين جبهتين[٧].

فهل إنّ الإمام الخميني قدس سره هو امتداد ومثل لسيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام؟ وهل تجلّت الثورة الحسينية في الثورة الخمينية؟ وهل ورث قائد هذه الثورة شيئاً من جدّه سيد الشهداء عليه السلام؟

يظهر الجواب عند استعراض عناصر الوراثة الحسينية. لذا سأستعرضها على شكل نقاط متعدّدة:

ذاب الإمام الخميني قدس سره في شخصية سيد الشهداء عليه السلام حتى صار عمله عاشورائياً، وكلامه كربلائياً، وروحه حسينية. فسيّد الشهداء عليه السلام أعلن إبّان ثورته التبرّم من الظالمين وأنّ الموت برؤيته هو سعادة محضة. وها هو حفيده الخميني قدس سره يردّد كلمات جدّه عليه السلام الثائرة، حيث يقول: «**سنقوم بأداء تكليفنا الإلهي- إن شاء الله-، وسننال إحدى الحُسنيين: قطع أيدي الخونة التي تتطاول على حريم الإسلام والقرآن الكريم، أو الالتحاق بجوار رحمة الحق - تعالى. إني لا أري الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[٨]. هذه الكلمات التي أشعلت ثورةً في سنة ٦١هـ وأعادت للإسلام الحياة، ها هي من جديد تأخذ بعدها في القلوب الظمأى وتتلقّفها الأرواح المستعدّة، فتعيد للإسلام أنفاسه، وتنتشله من شبه الرقاد.

٣) راجع جوادي الآملي: الإمام الخميني قدس سره – ثورة العشق الالهي –، ترجمة: كمال السيد، مكتبة الفقيه، الكويت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٢٢٤

٤) المجلسي: م. س. ج٤٤ ص ٣٢٥.

٥) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م،ج٤ ص ١٥.

٦) المجلسي: م. س. ج٤٤ ص ٣٢٦.

٧) راجع: جوادي الآملي م.س. ص٢٣٤.

٨) مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية: صحيفة سماحة الإمام الخميني قدس سره، ج ١ ص ١٨٥.

عندما ضاقت الدنيا بسيد الشهداء عليه السلام وخانه العالم وقلّ الناصرون، أعلن موقفه الصريح: «**والله لو لم يكن ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية**»[٩].

وعندما قرّروا إبعاد الإمام الخميني قدس سره من النجف وأغلقت الكويت حدودها ولم تسمح للإمام بالهبوط ولو لدقائق، وهو العالم الجليل والشيخ الطاعن في السنّ، في هكذا موقف أصرّ الإمام على رفض مساومة الظالمين والثبات على المواجهة ولو لم يجد له ملجأ في العالم، فقال: «**لو لم يبق لي مكان آمن على وجه الارض فسأنتقل من مطار إلى مطار ومن ميناء إلى ميناء وأقود الثورة**»[١٠].

رفض سيد الشهداء عليه السلام أن تشوب ثورته شائبة أو تُحاك بخيوط اللاهثين وراء الدنيا، لذا رفض عرض الجعفي الذي أراد أن يقدّم له سهماً مالياً وقال بحزم: ﴿**وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾[١١].

وها هو الإمام الخميني قدس سره يرفض كلّ مساعدة أو جهد أو تضامن من قبل المنحرفين، وعمل على صيانة ثورته من اشتراك الفاسدين والمتملّقين.

نعم، شارك بعض الفاسدين في الثورات، لكن من دون أن يطلب الإمام ذلك، فكانوا كالزبد في حركة الثورة المقدسة ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً**﴾[١٢][١٣].

حينما نقرأ في النصوص الإسلامية على مستوى الصراع والمعركة، نجد دائماً توجيهاً لجعل المعركة مع السلطة لا مع غيرها. فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «**إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر**»[١٤].

وها هو الإمام الحسين عليه السلام يرسم هذه الحقيقة في كربلاء عندما كتب إلى أشراف الكوفة ممّن كان يظنّ أنّه على رأيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى سليمان بن صُرَد والمُسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وعبد الله بن وأل، وجماعة المؤمنين، أمّا بعد فقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثمّ لم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله**»[١٥].

٩) المجلسي: م. س. ج٤٤ ص ٣٢٩.
١٠) جوادي آملي، م. س. ص ٢٣٣.
١١) الكهف: ٥١.
١٢) الرعد: ١٧.
١٣) راجع: جوادي الآملي، م. س. ص ٤١.
١٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل بيت عليهم السلام لإحياء التراث، ق، ١٤١٤ هـ، ج١١ ص٤٠٠.
١٥) المجلسي: م. س. ج٤٤ ص٣٨١-٣٨٢.

وقام الإمام الخميني قدس سره بالتكتيك نفسه، فشخّص أنّ الشاه هو مصدر الفساد. فشنّ عليه الحرب ونطق بكلمات حقّ هزّت عرش الطاغوت. فالإمام الخميني قدس سره يقول: «**أيها السادة المحترمون، في أيّ منصب كنتم، قفوا بكلّ قوّة وثبات إزاء تصرّفات هذا النظام المخالفة للشرع والقانون! ولا تخشوا هذه الحراب الصدئة المنخورة، فإنّها ستحطّم قريباً**»(١٦).

وأضاف: «**فطرف الصراع الذي يجب أن يقف إزاءنا لنخاطبه ونحاسبه هذه المرّة، هو الشاه نفسه**»(١٧). و«**إنّ كلّ هذا الذي نشهده هو بسبب تقصير الشاه الذي يعجز عن إدارة البلد، وله الحقّ في افتقاره للقدرة على إدارة البلد، لأنّ عرشه مغتصب، وكل مغصوب في طريقه إلى الزوال سريعاً**»(١٨).

كلما اقترب سيد الشهداء عليه السلام من ظهيرة يوم العاشر اشتدّ نور وجهه وازداد تألّقاً؛ لأنّ موعد القرب قَرُب. فلم يكن حزيناً ولا مضطرباً ولا خائفاً، بل لم يكن وقتها على وجه البسيطة رجل أربط جأشاً منه. قال بعض الرواة: «**فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، وإن كانت الرجال لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه...ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قول إلا بالله**»(١٩).

وهذا آخر يصف نور وجهه فيقول: «**فوالله ما رأيت قط قتيلاً مضمّخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً منه، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفكرة في قتله**»(٢٠).

وها هو الإمام الخميني قدس سره يترجم هذا الموقف في أحد نداءاته لطلاب الحوزة العلمية، حيث قال: «**لا تقلقوا ولا تضطربوا، وأبعدوا الخوف عن أنفسكم، فأنتم أتباع أئمّة صبروا واستقاموا في النكبات والمصائب، وما نعانيه اليوم ليس شيئاً بالقياس إلى ما عانوه! لقد عاش أئمّتنا العظام أحداثاً مثل يوم عاشوراء وليلة الحادي عشر من محرم، وتحمّلوا أشدّ المصائب في سبيل دين الله. فماذا تقولون أنتم اليوم؟ وممّ تخافون؟ ولأي شيءٍ مضطربون؟ فمن يدّعي أنه من أتباع الإمام أمير المؤمنين** عليه السلام

١٦) صحيفة الإمام ١/١٦١.
١٧) م.ن ١/١٤٦.
١٨) م.ن ١/٢٢٨.
١٩) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ، ط ٢، دار القارئ، بيروت،١٤١٢هـ/١٩٩٢ م، ص٤٥.
٢٠) م.ن ص٤٨.

والإمام الحسين عليه السلام، عيب عليه أن تتلاشى نفسه أمام ممارسات وفضائح النظام الحاكم هذا»[٢١].

خرج سيّد الشهداء عليه السلام لأجل الاسلام، لأجل نصرة الحق وإظهاره. فقد كتب عليه السلام هذه الوصية لأخيه محمّد ابن الحنفية مبيّناً له فيها هدفه من الخروج: «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحقّ، وأنّ الجنة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي صلى الله عليه وآله. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾**»[٢٢].

وإن كان الإمام الخميني قدس سره قد ورث هذا الهدف من جده سيد الشهداء عليه السلام، فلا بدّ أن يظهر ذلك في كلماته وحركاته. وعندما نبحر في كلماته نجده يقول: «**ليس لنا ذنب سوى الدفاع عن الإسلام واستقلال إيران.. إنّنا نهان كلّ هذه الإهانات ونُهان من أجل الإسلام، وها نحن أولاء مستعدّون للسجن والتعذيب والإعدام.. دعوا النظام المتجبّر يفعل ما يشاء من ممارسات غير إنسانية**»[٢٣].

سعى سيد الشهداء عليه السلام إلى توجيه الأمّة نحو حرّيتها. حاول عليه السلام أن يعلّم الأمّة معنى الحرية. فقد قال لأعدائه: «**ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه**»[٢٤].

وصرّح الإمام الخميني قدس سره أنّ الحرية هي أحد أهدافه، حيث يقول: «**أثبتوا بأنّنا مستعدّون لكلّ شيء في سبيل حرّية هذا الشعب**»[٢٥].

٢١) صحيفة الإمام ١/١٧١.
٢٢) م.ن: ج٤٤ ص ٣٢٦.
٢٣) صحيفة الإمام ١/١٩٧.
٢٤) ابن طاووس: ص ٤٥.
٢٥) صحيفة الإمام ١/٢٨١.

هذا بعض ما ورثه الإمام الخميني قدس سره من جدّه سيد الشهداء عليه السلام، فكيف بك بكلّ ما ورثه منه عليه السلام؟ وكيف بك لو تابعت البحث حول ما ورثه من سائر الأنبياء والأولياء؟

هنا ينكسر قلمي ويجمد مدادي ويحتار لبّي.

لكن لا يُجازف إن قيل إنَّ الفكر الحسيني والنهج الكربلائي هو إرث في قلب الإمام الخميني قدس سره. فهذا الفكر مصداق لجهة الحقّ الدائمة الصراع مع الباطل، حيث يوقد الباطل الحرب لمحق الحقّ وإطفاء شعلته، ولكن ﴿**كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله**﴾[٢٦]، و﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون**﴾[٢٧].

والحمد لله رب العالمين

٢٦) المائدة: ٦٤.

٢٧) الصف: ٨.